الاستلزام الحواري في مشهد من مسلسل يوسف الصديق

Conversational Implicutures in a Scene in the Serial Yusuf Al-Siddiq

م.د. يسرى سالم مزهر
Yusra Salem Mizher
جامعة الفراهيدي – كلية التربية / قسم اللغة العربية
y.mizher@uoalfarahidi.edu.iq

ملخص

إن الاستلزام الحواري من الظواهر اللغوية المهمة ذات الأثر البالغ في كشف الدلالات المخبوءة للنص اللغوي ، التي تهدف الى كشف ما استتر من دوافع المتكلم التي حذت به لنطق أو لكتابة مفردة أو كلمة أو فعل ما دون سواه من الأفعال والكلمات والمفردات الأخرى، مراعيا في ذلك ما تهواه مقاصده ومقام الحال والسامع، إلا أننا في هذا البحث سنتجاوز ذلك قليلا عابرين الى ما يحيط النص اللغوي من مؤثرات نفسية واجتماعية ومقامية ألقت بسطوتها على المتكلم والزمته بنص معين دون سواه، فالأفكار والصور الذهنية لنص معين ورواية معينة تلزم المؤلف وتدفع به إلى اختيار فعل يعبر عن حدث بعينه يحمل دلالة و مقصدية مخصوصة، وهذا ما نطلق عليه لغويا ظاهرة الاستلزام الحواري .

يتمركز بحثنا على دراسة الاستلزام الحواري في مشهد من مشاهد الحلقة الرابعة والأربعين من مسلسل (يوسف الصديق)، وكشف دلالاته الخبيئة، ومعانيه الدفينة كون المسلسل يجمع بين تصوير الحدث القرآني، وأحداث المسلسل التي كتبت بقلم (فرج الله سلحشور)، الذي جمع بين الحدث القرآني والتفاسير القرآنية لسورة يوسف والمأثور التاريخي، بحبكة نصية و مسحة اخراجية حرصت ما استطاعت على جمع كل ذلك واخراجه للمشاهد المتلقي أفضل ما يجب .

ينقسم البحث على مبحثين، المبحث الأول (المؤثرات الزمانية والمكانية)، والمبحث الثاني (الاستلزام الحواري والمتلقي)، يَقْدِمُ هذين المبحثين ملخص بالبحث وتمهيد، ويردفهما خاتمة بنتائج البحث .

الكلمات المفتاحية: الاستلزام الحواري، المشهد، المقصدية ،السياق، النص .

ABSTRACT

The phenomenon of Conversational Implicature is one of the linguistic phenomena that is of great importance and which has a serious impact on revealing the hidden implications of a given linguistic text. The importance of conversational implicature lies in the fact that it aims at revealing the hidden motives that make a speaker utter or write this word, this vocable, or this verb but not the other, taking into consideration what his aims are, the context in which the text is uttered or written, and the hearer/listener. In this research, however, we will go beyond this to cover what surrounds a given linguistic context (e.g. psychological, social and prestigious effects) that makes the speaker choose this text over another. Thoughts and mental images of a given text or novel makes the author choose a verb that expresses a specific significance or purpose. This is what is known in linguistics as Conversational Implicatures, i.e. deducing implications from what has been said concerning what has not been said.

The present study concentrates on studying conversational implicatures - the implications which can be deduced from the form of an utterance- in one of the scenes of Episode ٤٤ of the serial 'Yusuf al-Siddiq' (Joseph, Man of Truth) in an attempt to reveal its underlying significance and hidden meanings. This serial, written by Faraj Allah Salhashur, combines the representation of 'Qur'anic event' with the Serial's events, the writer's aim being to combine Qur'anic event and Quranic interpretations for Sura Yusuf and historical narratives, with a text plot and a directorial touch that combine all these and direct them to the receiver-watcher in the best way possible.

This research comprises two parts: Part One handles time and place effects, Part Two deals with the relationship between Conversational Implicatures and the receiver. The study also contains an introduction. The findings are given at the end of this research work.

Keywords: The Conversational Impicature,Scene , Purpuricalstem ,TextThepain

التمهيد

*مفهوم الاستلزام الحواري:

الاستلزام الحواري مشتق من مادة (ل ز م)، فقد قال الراغب الأصفهاني (٥٠٢هـ): ((لزوم الشيء طول مكثه ،ومنه يقال لزمه يلزمه لزوما والالزام ضربان إلزام بالتسخير من الله تعالى أو من الانسان والزام بالحكم والأمر))[١]، وقد يكون بمعنى استحكم أو استقوى عليه فتقول ((... لزم غريمه لزما، ولا تنتزع من لزمه حتى تنتزع الحق منه، وفلان ملزوم، وأخذ يمطلني فلازمته حتى استوفيت حقي منه، وألزمت خصمي إذا ولِزاماً والتزَمَه وأَلزمَه إيَّاه فالتزَمَه. ورجل لُزَمَةٌ:حججته))[٢] التي عرفها ابن منظور(٧١١هـ) بقوله: ((لزِمَ الشيءَ يَلْزَمُه لَزْماً ولُزوماً ولازَمه ملازمة: يلزم الشيء فلا يفارقه، واللزام: الفيصل جدا ... وهو أيضا الفصل في القضية....))[٣]

واللزوم عند الدكتور طه عبد الرحمن يفيد معنى ((الانتقال، إذ نقول: « لزم شيء من شيء» أي تولد منه بنقلة مخصوصة))[٤] وقد قال ويجانا: ((إن الاستلزام، كلام يعبر ويوضح مقترح في المحادثة))[٥]، فكان عنده بمعنى التوضيح والتفسير، ويأتي أيضا بمعنى تحيين للجمل المتبناة من قبل المتكلم في ظروف مكانية وزمانية خاصة»[٦]»، إلا أن غرايس كان له رأي آخر، فيعبر عنده عن معنى خفي ليس بالضرورة أن يكون

(١) المفردات في غريب القرآن، ٤٥٣
(٢) أساس البلاغة ،٥٦٤
(٣) لسان العرب ٥/ ٣٧٩
(٤) اللسان والميزان ٨٨
(٥) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر محمود أحمد نحلة ٣٣
(٦) ينظر: الاستلزام الحواري في سورة البقرة في القرآن الكريم ٣٧

تعبيريا، كما أنه متغير بتغير السياقات التي يرد فيها على عكس الاستلزام العرفي الذي يلتزم بما تعارفه علماء اللغة من الفاظ ومفردات))[1].

من ذلك يتضح أن الاستلزام الحواري تنوعت معانيه ودلالاته، فهو بمعنى ملازمة الشيء أو المكان لمدة معينه، وهو الاستحكام والاستقواء على أمر ما، وهو الانتقال من معنى إلى معنى آخر، والتوضيح، والتبيين، والتعبير، والتفسير، واستجلاء المعاني الخفية ؛ فهو لا يتقيد، بالنص اللغوي في العبور الى الإيحاءات المعنوية والذهنية التي يجب ايصالها الى المتلقي كما هو مراد وموضوع له من قبل الكاتب، بل هناك مؤثرات خارجه عن المكتوب والمنطوق في فهم ما يراد، فيمكننا أن نقول أن الاستلزام يعني ((الاستنتاج))[2]؛ لأنه يعد حلقة ربط متينة بين المقول الحرفي والمعنى الضمني المستند بطريقة مباشرة إلى السياق، وأخرى غير مباشرة الى محوطات النص أو الحوار الخارجية»[3]: في الكشف عن الغايات واستنتاج المقاصد التداولية، وهذا ما تنبه إليه الجرجاني (٤٧١هـ) قبلا، عندما قسم الكلام على ضربين ((ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، وذلك إذا قصدت أن تخبر عن (زيد) مثلا بالخروج على الحقيقة، فقلت (خرج زيد)... وضرب أنت لاتصل منه الى الغرض بدلالة اللفظ وحده، ولكن يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة، ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض))[4]، وهذه الفكرة التي انطلق منها (بول غرايس) بتأكيده على أثر الأفعال غير الكلامية المباشرة في ترسيخ المعنى، منطلقا من فكرة المحادثة والأداء الحواري

(١) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ٣٣
(٢) اللسان والميزان ٨٩
(٣) ينظر: النظرية البرجماتية اللسانية ٨٨
(٤) دلائل الإعجاز ١٧٣

والتدرج فيه واستقامته وتوفيقه بين أطراف العملية التخاطبية» [١] «.

فلا يستبين المعنى الخفي الا بالسياق اللغوي وما يتضافر حوله من محددات الحوار والمؤثرات الخارجة عن النص اللغوي .

*مفهوم المشهد:

١. وهو مشتق من (ش ه د) ، و((الشهود والشهادة الحضور مع المشاهدة إما بالبصر أو بالبصيرة ... وجمع مشهد مشاهد))» [٢] «، وقد ورد أيضا ((المشهد: ما يشاهد، أي ما يقع تحت النظر، والمشهد: المجتمع من الناس ... والمشهد: الحضور ... وهو قطعة مستمرة من الحركة تقع في منظر واحد من مسرحية أو أغنية مصورة أو فلم سينمائي ... مشهد من المسرحية: منظر واحد تستمر فيه الحركة والحوار من أوله إلى آخره ...))[٣]، والذي نقصده ونعنيه بمفهوم المشهد في بحثنا هذا هو ما يستوجب ويستدعي ((تقسيم النص إلى مقاطع حكائية أو وحدات دلالية))[٤] ومن منظور أوضح يعد المشهد أصغر وحدة درامية تخاطبية أو إيحائية تعكس واقعا مكانيا وزمانيا محددا في لقطة واحدة أو عدة لقطات، توصل فكرة ذات دلالة ومغزى للمشاهد، هذا زيادة على ضرورة توافر عناصر أخرى ذات فاعلية وأثر ناجع على المتلقي أو المشاهد كنوع الأثاث والديكور والأزياء والألوان، والمؤثرات الصوتية والموسيقية والإضاءة والمكياج، التي لا تقلّ شأنا وأهمية عن دور الأبطال الذين يأخذون عادة الحصة الأكبر من تركيز المشاهد، لأنهم يعبرون عن كم متتابع مترادف من القضايا في صورة درامية

(١) ينظر: الاستلزام الحواري في التداول اللساني ٩٥

(٢) المفردات في غريب القرآن ٢٧١

(٣) معجم المعاني الجامع . https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar

(٤) علم لغة النص النظرية والتطبيق ٢١٧.

خطابية واحدة متماسكة داخليا وتداوليا» [1] «، فيفترض كاتب النص زمانا ومكانا معينيين تدور خلالهما أحداث النص الذي ينتقي فيه أفعالا محددة تدل على زمن الحدث ودلالته وهذا ما نطلق عليه الأفعال اللغوية أو الأحداث اللغوية التي يجب على كاتب النص عند اختيارها مراعاة نفسية المتلقي وتهيئته لتقبل المشهد عقليا ونفسيا فإن في ذلك بلاغة جلية ودلالة واضحة؛ قال أبو هلال العسكري(٣٩٥هـ): ((البلاغة كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع فتمكنه في نفسه كتمكنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن))[2]، فالحوار الموضوع من قبل كاتب النص يراعي بشدة نفسية المتلقي وما تتقبله وما تنفر منه ؛ فالذي يدور في ذهن المتكلم هو ما يقع النطق عليه أولا، وقد اهتم حازم القرطاجني(٦٨٤هـ) بنفسية المتلقي ومراعاة ميوله ورغباته حين قال: ((والّذي تقبله النفس من ذلك ما كانت المآخذ فيه لطيفة، وذلك أن ينزع بالكلام إلى الجهة الملائمة لهوى النفس ومن حيث تسرّها تعجبها أو تشجوها))[3]، ويجب على كاتب الحوار أو السيناريو أن يراعي مقامات المتلقين، ليضمن نجاح العمل الحواري وإتمام غايته على أكمل وجه، يقول أحمد الهاشمي ملفتا النظر إلى أهمية المقام: ((وينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني ويوازي بينها وبين أقدار المستمعين، وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاماً ولكل حالة من ذلك مقاماً حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات...))[4]، ولا يتأتى ذلك لكاتب النص إلا بما يدفع

(١) ينظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق ٢١٨
(٢) كتاب الصناعتين ١٠
(٣) منهاج البلغاء:٣٦٥
(٤) جواهر البلاغة ٤٢

نفسه ويهم بها، لذلك يرتبط النص وثيقا بنفسية المتلقي، مع إحاطة كاتب السيناريو بتغاير أفهام المتلقين وتنوع أذواقهم ومشاربهم ومستويات تفكيرهم وثقافتهم المتباينة ومشاعرهم المتضاربة والمترادفة، يقول الجرجاني مؤكدا على أهمية مراعاة النَفْس أثناء الكلام: ((وأما نظم الكلم فليس الأمر فيه كذلك، لأنك تقتفي في نظمها آثار المعاني وترتبها على حسب ترتب المعاني في النفس .... لو كان القصد بالنظم إلى اللفظ نفسه، دون أن يكون الغرض ترتيب المعاني في النفس، ثم النطق بالألفاظ على حذوها، لكان ينبغي ألا يختلف حال اثنين في العلم بحسن النظم أو غير الحسن فيه، لأنهما يحسان بتوالي الألفاظ في النطق إحساسا واحدا ولا يعرف أحدهما في ذلك شيئا يجهله الآخر))[1]، وهذا ما يفرضه المنطق؛ فمتلقي الكلام أو الحوار لا يمكن أن يكونوا بمستوى واحد من الثقافة والوعي والإدراك والعلمية ولا يملكون الخزين المعرفي والمعلوماتي نفسه فهم متفاوتون متغايرون تغاير الألوان والأهواء، فمن المسلم به في ذلك أن يكون ((مدار الأمر على إفهام كلّ قوم بقدر طاقاتهم، والحمل عليهم على أقدار منازلهم))[2]، كي يصل الكاتب الى النتيجة الأعلى والأرقى في نصه الحواري .

(١) دلائل الاعجاز٤٢-٤٣

(٢) البيان والتبيين:١/ ٩٣

المبحث الأول

المؤثرات الزمانية والمكانية

لكل نص لغوي مؤثرات إما داخلية أو خارجية ، أو هما معا تسوقه الى دلالة معينة تفضي به الى مقاصد متنوعة بتنوع مستويات الفهم والوعي لدى المتلقين، فمن مؤثرات النص الداخلية مكوناته من اسماء وافعال وحروف وصيغ وتراكيب، فضلا عن الأساليب البلاغية والبيانية من (كناية ،ومجاز، واستعارة، وتقديم وتأخير، وذكر وحذف، الخ من الاساليب البلاغية) أما المؤثرات الخارجية فهي مقامات المتكلم والمتلقي ومناسبات القول، والنبر والتنغيم، فلو قلت: (الجو بارد)، فإن هذه الجملة تتعدد وتتنوع مقاصدها حسب طريقة نطقها وحسب مقامات المتلقي وتفسيره وفهمه لدلالاتها ؛ فهي تحتمل أن تكون :

-جملة خبرية .

-جواب لسائل عن حالة الطقس.

- جملة استفهامية .

- جملة تعجبية .

-يجب أن ترتدي معطفا حال خروجك من المنزل.

- حل فصل الشتاء.

-التزم بالتدابير الوقائية لئلا تمرض .

- التذمر .

- التشكي.

- الخ من الدلالات والمقاصد.

فالمعاني التي يتم تداولها بين المتكلم والمتلقي قد تخرج عن الصراحة والحقيقة التي تحملها الألفاظ ظاهريا أو قد تكون حملت أكثر من معنى، وذلك بوقوع المخالفة التي تنقل ((الإفادة من ظاهرها الصريح والحقيقي إلى وجه غير صريح وغير حقيقي، فتكون المعاني المتناقلة بين المتخاطبين معاني ضمنية ومجازية))[1].

زيادة على ذلك فإن زمان ومكان الحوار الذي يدور النص حولهما من المؤثرات الفاعلة على النص اللغوي، فكل ذلك يلزم الكاتب والمخرج بالتقيد بنوع خاص متعلق بخصوصية الموقف والفكرة والهدف والغاية المبتغاة، فلا يكفي لكاتب النص أن يحيط بالأساليب النحوية واللغوية فقط في إنجاح العملية التواصلية ؛ ذلك أن ((التجربة الفنّيّة تتكوّن فيها المواقف بحسب طبيعة المكان والزمان، وتشابكهما فيما بينهما وفيما بين العناصر الأخرى المكوّنة للعمل الإبداعيّ، من لغة ومضمون وموقف وغيرها من العناصر))[2]. النفسية والسيكولوجية للمتلقي؛ فعلى كاتب السيناريو والمخرج أن يجعلا من المُشاهِد عنصرا متفاعلا متأثرا بالمشهد؛ رابطا بين الأحداث الزمانية والمكانية والسياق الذي يحزم كل ذلك، فإن ((الإشاريات الزمانية كلمات تدل على زمان يحدده السياق بالقياس إلى زمان التكلم))[3]، وما يتخلله من تقلبات نفسية تؤثر بصورة مباشرة على المتلقي فيحزن ويغضب ويفرح ويتحمس بحسب ما يوحي إليه الموقف الحواري وكيف لهما أن يجعلا من المتلقي مستقبلا جيدا ومفسرا فاهما الرسالة اللغوية للمشهد بصورة صحيحة، فيجب عليهما أن يمدا حبال الجذب والتشويق والاندماج بين المشهد والمتلقي، وأن يعزفا بمهارة على الأوتار النفسية للمُشاهِد التي غالبا ما

(١) اللسان والميزان ٢٣٩

(٢) آليات الخطاب النقدي العربي الحديث في مقاربة الشعر الجاهليّ: ٩٩.

(٣) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ٢٠

تتعرض لتجاذب وتصارع، متأثرة بالأحداث الزمانية والمكانية الماسة لها و تظهر ملامحها جليا ((حينما نعقد مقارنة بين زماننا النفسيّ الشعوريّ وزمان الموجودات الخارجيّة وحينما نقابل بين الزمان المنقضي والزمان الأبديّ المطلق))[1]. أما مكان وقوع الحدث الحواري فهو عبارة عن ((عناصر إشارية إلى أماكن يعتمد استعمالها وتفسيرها على معرفة مكان المتكلم ووقت المتكلم، أو على مكان آخر معروف للمخاطب أو السامع، ويكون لتحديد المكان أثره في اختيار العناصر التي تشير إليه قربا أو بعدا أو وجهة، ويستحيل على الناطقين باللغة أن يستعملوا أو يفسروا كلمات مثل هذا وذاك وهنا وهناك ونحوها، إلا إذا وقفوا على ما تشير إليه بالقياس إلى مركز الإشارة إلى المكان، فهي تعتمد على السياق المادي المباشر الذي قيلت فيه))[2].

ذلك مما يلزم الكاتب والمخرج أن يلما بالمشهد وما يحيط به بكل ما ذكرنا سابقا بصورة جيدة ؛ لتصل الرسالة اللغوية لآخر غايتها المبتغاة من العمل الحواري ؛ ففي المشهد الأول من الحلقة الرابعة والأربعين وفي معرض مساءلة عزيز مصر لإخوة يوسف عمّا فعلوه بأخيهم، نرى أن الحدث يتنقل زمانيا ومكانيا ؛ فيرجع بالمتلقي الى زمن تآمر أخوة يوسف عليه عندما كان طفلا صغيرا ذهب للرعي مع أخوته في أرض كنعان، فغدروا به واستضعفوه بعدما طرحوه أرضا يرومون قتله، وبين وقوفهم بين يدي عزيز مصر وهو رجل قد لاح الشيب رأسه ولحيته، خائفين مما سينزل بهم بعد تحقيقه معهم عما فعلوه بيوسف من قبل وهم داخل قصره الذي يبدو عليه أعلى مستويات الفخامة والثراء والعظمة، يحيط بهم حرسه وجنوده وحاشيته ، للدلالة على أن الظلم لا يدوم ويجب على كل ذي حق أن يأخذ حقه ولو بعد حين، وأن الله سبحانه محق وعده وإن

(١) تأريخ الفكر الفلسفيّ: ٢/ ١٠٢

(٢) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر،٢٢

طال الزمان وتغيرت الأوطان، وأن لا مهرب من عدالة الله سبحانه وتعالى، وعلى المرء أن يتحاشى الوقوع في المكروه من الأعمال واجتناب المآثم والكبائر، والحرص على الابتعاد عن الضغائن والأحقاد التي يزرعها الشيطان في قلوب بني البشر، اعتمادا على استكراه الفعل الحاصل داخل المشهد في نفسية المتلقي، بعدما أوقع المشهد بشاعة الحدث، وتسليطه الضوء على خبث النفس الحسودة والحقودة التي لا ترعوي ولا تنشز عن الإتيان بأي فعل قبيح تستسيغه وتستسهله طلبا لما تشتهيه وترغب به إذا لم تجد رادعا يزجرها وينهاها .

ففي حوارات عزيز مصر (يوزرسيف)، من هذا المشهد و عندما استخرج صكّ الشراء (الذي تم بموجبه بيع يوسف (عليه السلام) إلى زعيم القافلة مالك)، وقرأ ما كُتب في الصكّ، وكان هناك حوار خفي دون صوت أو كلام تبادلته العيون والنظرات التي أفصح عنها المخرج بصورة جلية ؛ فـ((معلوم أن التواصل قد يحصل بأشياء أخرى غير اللغة كالإشارات ..))[1]، وهو ما يطلق عليه لغة الجسد التي لا تقل بيانا عن لغة اللسان ؛ فاللغة ((التي يتناولها الأفراد في أحاديثهم وكتاباتهم ليست قاصرة على اللغة النحوية -فحسب - والتي تخاطب العقل بمعنوية ألفاظها وتراكيبها، وضوابطها وأشكالها، وإنما تمتد إلى مخاطبة النفس الإنسانية من جميع جوانبها))[2]، فعلى سبيل المثال: العين (الجارحة)، تكون نظراتها عبارة عن لغة بليغة ومعبرة بصورة واضحة جلية عما يدور داخل النفس من أفكار ورغبات وصراعات، فكم من نظرة عبرت بصدق الانفعالات بمحضر من الكلمات الكاذبة، وكم من نظرة جسدت كيانا

(١) اللسانيات واللغة العربية، ٤٢

(٢) علم النفس اللغوي ،١٠١

تشريحيا مستقلا بذاته ؛ فتفضح تعابيرها مشاعر لا يمكن أن تترجم بالكلمات[1]، وقد استغل المخرج ذلك استغلالا ناجحا موفقا عندما سلط الكاميرا على نظرات شخصيات المشهد، فكشفت عن تغاير وتنوع الايحاءات اللغوية غير المباشرة، الكاشفة عن اختلاجات نفسية داخلية لا يمكن البوح بها بلغة مباشرة، فيتضح ذلك في نظرات الترقب والفرح بقرب ما طال انتظاره التي تقابلت بين بنيامين ومالك، ونظرات زليخة التي كانت تعبر عن استقرار وراحة نفسية وإعجاب بكياسة عزيز مصر، في محاولته محاسبة إخوة يوسف عما فعلوه سابقا، وبين نظرات القلق والتردد والحيرة والخوف من الآتي المجهول، التي كانت فاضحة في عيون إخوة يوسف، فكانت التفاتة موفقة وسديدة من المخرج للكشف عن نفسية المتحاورين وما يمكن أن يستلزم عليهم نطقه والتكلم به من جمل وتراكيب وأفعال.

فمن الملاحظ على المشهد أن زمن الحوار يتنقل بين الماضي والحاضر اعتمادا على المتكلم وما يستلزم قوله ؛ فقد كثر ورود الفعل المضارع أو الحاضر على لسان عزيز مصر مثل: (نبيع ،يأخذه، يتمكن، يبدو، يقول، ترون، نحيط، يحدثني، .....)، والفعل الماضي كان وروده قليلا على لسانه، مثل: (مهرا، لم تكفوا) أما الأفعال الحوارية المنسوبة لإخوة يوسف فكانت تتنوع بين الماضي والحاضر، مثل:(قمنا، بعنا، نرتاح ،كان، وصل، يعود، يمكننا)، ولتحليل ذلك نقول: أن الفعل الماضي سمي بذلك للدلالة على أن أثره حدث وانقضى، فقد أُنجِزَ واستمر منجزا حتى زمن التكلم، أما الفعل المضارع هو ما تكون حال خطاب المتكلم، فجاء بأفعال حالية حقيقية للدلالة على أن أثر هذه الأفعال لازال ساريا على نفسية المتكلم (يوزرسيف)، وللدلالة على أنه مازال

(١) ينظر: لغة الجسد النفسية، 201و258

يعيش أثر الحدث الماضي في زمن التكلم أو الحوار . ويمكننا أن نستشف دلالات زمنية أخرى، منها:-

أولا- دلالة زمن الماضي :-

يدل عموما على ما وقع أثره من الأحداث فيما تقادم من الأزمان، كقوله تعالى: ﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴾[2]، وغير ذلك من الأمثلة الكثير، فهو يدل في أصل وضعه على الأحداث الغابرة، لكن قد يدل على معان أخرى غير ما وضعت له أصلا بسبب متطلبات السياق وموجبات الحوار والتخاطب ؛ كالذي ورد في هذا المشهد ومنها :-

١- الماضي المنقطع: وهو الفعل الحاصل لمرة واحدة فقط ولم يتكرر حدوثه لاحقا وذلك إن وقع خبرا لكان سواء أكان على صيغة (فَعلَ) أو (يفعَل)[3]، أو إذا وردت (قد) متلوة بالفعل (كان)[4]، كقوله تعالى: ﴿ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ ﴾[5] و قول المتنبي[6]:

قد كان قاسَمكَ الشّخصينِ دهرُهُما وعاش دُرّهما المفديُّ بالذَّهبِ

من ذلك ما ورد على لسان بطل المسلسل: ((لقد بعتم أخاكم يوسف إلى السيارة التي كانت أخرجته من الجب .....، انه كان يذهب مختارا، فهو كان يعلم بأن رسالة

(١) العنكبوت ٤٤

(٢) البقرة ١٧

(٣) ينظر: الدلالة الزمنية في الجملة العربية٤٧

(٤) ينظر: الفعل زمانه وأبنيته ٢٩

(٥) القلم ٤٣

(٦) شرح ديوان المتنبي للبرقوقي ١/ ٢٢٢

عظيمة تنتظره))، وأيضا ما نطق به صاحبه في السجن :((لقد كان تعبير يوسف لمنام الحاكم سببا مهما في خلاصه من السجن .....)). وإذا تصدرت (قد) بناء الفعل (فَعَلَ) فيدل على أن الحدث ماض بالنسبة لمدة ماضية قبله[1]، وهذا ما ورد على لسان شخصية (شمعون) :((أخونا الذي لم نرض له بخلافة أبينا، قد ورث من أبيه جبة الولاية وحزام النبوة)).

٢- الحـــال، يدل الماضي على الحال لتأكيد صدق الحدث والعزم عليه، كما في قول إخوة يوسف: ((..... بعنا الفتى إلى المدعو مالك))، و قولهم على لسان شمعون: ((قمنا بذلك طبعا ...))، ولا يدل الفعل الماضي على الحال إلا إذا صيغ بألفاظ العقود الإنشائية لا الخبرية، وألفاظ الأفعال التي يكون لها مقارنا في الوجود مثل بعت واشتريت وقمت بفعل كذا وتوقفت عن فعله[2]، ..... إلخ من هذه الأفعال.

٣- احتمالية الماضي والمستقبل ، يقع الفعل الماضي حكاية المستقبل من الزمان اذا كان مصاغا بأحد أساليب الطلب[3]، أي يكون مسبوقا بأحد أدوات العرض والتحضيض، ومن الجدير بالذكر أن (هلَا) إذا وقعت قبل الفعل الماضي دلت على الحض والحث على عمل ما، كقولك: (هلا قرأت، وهلا ساعدت الفقير) وقد تدل على التوبيخ والتأنيب، كقولك: (هلا عملت بجد، و هلا اجتهدت بدرسك) و كقول عنتر العبسي[4]:

هـلا سـألـت الخـيـل يـا ابـنـة مالكٍ إن كـنـتِ جـاهـلـةً بـما لم تعلمي

(١) الفعل زمانه وأبنيته ٣١
(٢) ينظر: معاني النحو ٣/ ٢٧٠
(٣) ينظر: معاني النحو ٣/ ٣٧٤
(٤) المعلقات العشر ٢٤٨

أما ما ورد في مسلسل يوسف الصديق، في المشهد موضع البحث والدراسة، من قول لاوي: ((هلا قمتَ بمعاقبتي يا أخي)) وقوله: ((.... فهلا قمت بتأديبي))، وقول شخصية يوسف: ((هلا هدأت يا أخي))، فالأفعال هنا ماضية اللفظ مستقبل معناها بكل تأكيد، إلا أنها دلت حسب ما نراه في القول الأول (هلا قمت) على طلب بصيغة الترجي والالتماس كون المخاطب أعلى شأنا ورتبة وهو نبي الله يوسف عليه السلام عزيز مصر الذي وقع عليه جرم ظلم إخوته، أما القول الآخر (هلّا هدأت يا أخي) ففيه طلب برفق وتحنن ومودة، ففي كلا النصين لم تأخذ (هلا) دلالتها التي وضعت لها .

٤- الاستمرار، يدل الماضي على الاستمرارية فيما اذا كان سياق الجملة لاينفي ذلك حاضرا أو مستقبلا، كقول عز من قال: ﴿ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (٩٥) دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾[1]، أي كان ويكون وهو كائن الآن جل ثناؤه[2]، وكقول أخوة يوسف: ((كنّا إخوتك فلم فعلنا ما فعلناه ؟))، فهم كانوا أخوته في الماضي واستمروا على هذه الحال حاضرا ومستقبلا، فجرمهم لا ينفي صلة القرابة والدم التي بينهم .

ثانيا- دلالة زمن المضارع :-

عادة يدل الفعل المضارع على الزمن الآني أو الحالي إذا كان مصاغا على وزن (فعل شريطة أن يتقدمه أحد حروف أنيت)، مثل: (يذهب، وأذهب، ونذهب، وتذهب)، أومن خلال السياق أو بقرائن لفظية كـ(الآن أو الساعة أو الحين) فنقول: (محمد يكتب الآن)، أو (محمد يكتب الساعة) إلا أنه قد يتفرع عنه دلالات أخرى تفضي إليها

(١) النساء ٩٥، ٩٦

(٢) ينظر: التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة ١٠٢

حاجة المتكلم، ومما ورد في النص الموسوم بالدراسة ما يأتي :-

١- المـــــاضي، يوقع المتكلم المضارع موقع الماضي بعد أدوات مثل (لم، ولو، وما، واذا) « [١] »، من ذلك ما ورد على لسان شخصية (يوسف): ((أنا لم أحمل في قلبي أيّة ضغينة))، وقول بنيامين: ((نحن لم يكن عندنا عبد بهذا الاسم))، وما ورد على لسان شمعون: ((أخونا الذي لم نرض له بخلافة أبينا)) .

٢- المستقبـــــــــل، يأتي المضارع بمعنى المستقبل من الزمان اذا سبق بـ(أنْ، والسين، وسوف)[٢] ، من ذلك ما جاء على لسان شخصية يوسف عند قراءته لصك البيع ((نحن عشرة أخوة من أهل كنعان .... بشرط أنْ يأخذه إلى أرض مصر ...)) ،وأيضا ما ورد على لسان لاوي: ((سأرمي نفسي إلى التهلكة))، و ((... فسوف أقوم أنا بمعاقبة نفسي))، فكل هذه الأفعال لم تقع أحداثها في الزمن الآني، وإن كانت هذه الأفعال بصيغة المضارع لأن المتكلم كان قد رتب وخطط لوقوعها مستقبلا، بعد أن قدم على الفعل المضارع (أنْ)، ليدل على أن هذه الأحداث لم تقع وقت زمن التكلم أو مكانه .

المبحث الثاني
الاستلزام الحواري والمتلقي

الرسالة الكلامية تنحصر بين متكلم ومتلقي، والمتكلم يتحدد بدوافع وموجبات كلامية تخاطبية تلزمه اختيار مفردات دون غيرها لغرض إيصال المقصود إلى المتلقي بصورة سليمة صحيحة، مضيفا المخرج على هذه الرسالة محددات وإشارات وقرائن

(١) ينظر: المصدر نفسه ،١٠٤

(٢) ينظر: المصدر نفسه ،١٠٣

غير لغوية لتسهم وتعزز وصولها الى المتلقي على أتم وجه، نظرا لأن الاستلزام الحواري متغير بتغير السياقات التي يرد فيها، بسبب من ذلك كانت هناك عدة مبادئ تسوق الحوار يجب توافر على الأقل واحد منها ليصل كاتب النص بالمتلقي إلى المعنى المقصود ،بحسب مقتضيات الكلام، ومن هذه المبادئ التي لوحظ وجودها في هذا المشهد، مبدأ التعاون الذي يتفرع الى أربع قواعد هي: (قاعدة الكم، وقاعدة الكيف، وقاعدة المناسبة، وقاعدة الطريقة)[1]:-

١ - قاعدة الكيف: ويعمد إلى القول الصحيح الصادق المستند الى أدلة واضحة .

وهذا ما نلحظه في بداية المشهد من الحلقة الرابعة والأربعين ؛ فقد عمد كاتب النص الى الدليل الواضح المؤدي الى القول الصادق الحقيقي ،باعتماد شخصية يوسف على استخراج الصك (صك البيع)، فكان دليلا واضحا على مصداقية كلامه وما جاء في عقد البيع دون المساس والطعن به، فقال:

(نحن عشرة أخوة من أهل كنعان، نبيع عبدنا يوسف إلى مالك بن زعر بثمانية عشر درهما، بشرط أن يأخذه إلى أرض مصر أو إلى بلاد نائية بحيث لا يتمكن من العودة أبدا إلى أرض كنعان) .

- الإجـراء: بدأ النص بإسلوب الاختصاص (نحن عشرة أخوة من أهل كنعان) ، فقد استبعدوا بذلك أخوين من مجمل الاخوة البالغ عددهم اثنا عشر أخا، للدلالة على أنهم لا يتقبلون أن يشاركهم الاثنان الآخران بصفة الأخوة دليل ذلك أنهم أطلقوا على يوسف عليه السلام صفة العبد حسدا وغيرة وغلا لمكانته في قلب أبيه نبي الله يعقوب عليه السلام أولا، ثانيا، أن (بنيامين) وهو الأخ الشقيق ليوسف عليه

(١) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ٣٤

السلام، لم يكن مشاركا لفعلهم إما لصغر عمره أو لعدم معرفته بهذه المؤامرة خشية كشف نواياهم، أو لأنه الأخ الشقيق ليوسف عليه السلام، فناله ما نال أخيه من الغيرة والحسد .

أما قولهم: (من أهل كنعان) ولم يقولوا (من كنعان)، للدلالة على أنهم ينحدرون من ذرية كنعان نسبا، وليس من صلب كنعان مباشرة وإنما من ذراريه، فضلا عن أن (من) تعني التبعيض أو التجزيء ،أي أنهم جزء من أهل كنعان وليس كل أهل كنعان مشاركون لهذا الفعل أو يعلمون به

أما قوله بعد أن أكمل ما مكتوب في نص العقد: (لاوي وشمعون مهرا هذه الرسالة). فقد عبر عن صك البيع بـ(الرسالة)، وليس المقصود هنا بالرسالة، التراسل بين اثنين او أكثر في أمر ما، فالرسالة بالمأثور اللغوي مشتقة من الإرسال بمعنى التوجيه[1]، وهذا ما يفسر اطلاق كلمة (رسالة)، بدلا من كلمة (صك أو عقد) كونها لم تقتصر على بنود البيع والشراء، وإنما تجاوز ذلك الغاية المادية المرجوة من البيع يتضح ذلك من ثمن البيع الذي وصفه القرآن الكريم بقوله: ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[2]، واتضح ايضا من مبلغ الشراء (ثمانية عشر درهما)، هذا أولا، وثانيا أن نص المبايعة يتطلب توجيها وتبليغا بضرورة إبعاد يوسف عن أرض كنعان الى بلاد نائية. وكان قد أُطلِق عليه في موضع آخر مفردة (السند) ،في قول شخصية زليخة: (أنا أخذت السند من يوسف) .

(١) ينظر: لسان العرب (ر س ل) ٤/ ٥٥٤

(٢) يوسف ،٢٠

وإنما يدخل هذا في باب الترادف اللفظي، الذي يقتضي تعدد الألفاظ واختلاف المفردات إلا أنها تجتمع على معنى واحد .

الدليل الآخر الذي استند اليه المخرج وكاتب السيناريو، هو (الصواع الناطق)، المتضح من استفهام شخصية (يهوذا) وتعجبه من إحاطة عزيز مصر وذويه وحاشيته بكل ما يتعلق بجريمتهم، وجواب شخصية (يوسف) عندما قال: (من سؤال هذا الصواع)، وتعجب واستغراب (لاوي) البائن بمداخلته (أوينطق هذا الصواع ؟!).

وهذا محض افتراض من قبل المخرج وكاتب النص لجذب انتباه وتركيز المشاهد لطريقة مبتكرة في استنطاق الحقائق وكشف ما خبأه ودلس عليه أخوة نبي الله يوسف (عليه السلام)، من شنيع جرمهم ،خاصة وإن المخرج عمد الى استنطاق الصواع بالطرق عليه، ولفظة (الطّرق) مأخوذة من الضرب بالحصى أو العصا ويقصد به التكهن[1]، فأراد مجسد شخصية نبي الله يوسف (عليه السلام)، بهذه الطريقة أن يلفت انتباه الأخوة أن ما علم به من أمرهم وفعلهم كان عن طريق التكهن وذلك لصرف انتباههم عنه في زمن التكلم وعدم استنتاج انه اخوهم يوسف الذي غيبوه قسرا .

٢- قاعدة الطريقة: يجب أن يكون الكلام واضحا مرتبا موجزا محددا بعيدا عن اللبس والغموض.

وأكثر ما يتضح ذلك في استنتاج وسؤال (عزيز مصر)، بعد قراءته لصك الشراء: (يبدو هذا خط شمعون .. شمعون!، أيّكم هو شمعون ؟). وجواب شمعون: (أأأأنا).

- الاجـــــراء: من الواضح على النص اللغوي الأول الايجاز والترتيب، والنص الثاني - جواب شمعون- اتسم بالإيجاز والوضوح وكان رده ترتيبيا متسلسلا

(١) ينظر: لسان العرب (ط ر ق) 4/ 149

بعد سؤال سائل، كشف جوابه عن خوف وتردد وشك في افتضاح الفعل القديم ؛ دليل ذلك: تعثر النطق على لسانه بترجيع صوت الهمزة المتكرر، فضلا عن نظرات الخوف والذهول المتبادلة بين (لاوي، وشمعون، ويهوذا) .

والذي يقدح في الذهن أن النص الأول من الناحية اللفظية فيه شيء من الغموض ذهب وضوحه الى المعنى دون اللفظ، أما الوضوح المعنوي فقد تُرِك تلقفه لذوق المتلقي وذكاؤه .

فالاستنتاج غير الأكيد الذي توصل إليه (عزيز مصر) يتقاطع جليا مع استغرابه ثم سؤاله ؛ فالاستيضاح المترسخ في ذهنه من نسبة خط كتابة (الصك) إلى شمعون دفعه الى الافصاح عن ذلك، فما لبث أن أردف استيضاحه بتنغيم صوتي واضح يلف لفظة (شمعون) الثانية، ليكشف عن اندهاش وتعجب بإسلوب استفهامي عن شخص (شمعون)، بعد ذلك استتبع سؤالا استفهاميا صريحا (أيّكم هو شمعون ؟)، ليكشف عن جهله بشخص شمعون، فكيف توصل الى ان الصك كتب بيده دون (لاوي)؟ للإجابة عن ذلك أكثر من احتمال:

الأول / أن تكون عقود المقايضة والتجارة بين مدينة كنعان ومدينة مصر، كانت تبرم بين (شمعون)، وبين من ينوب عن (عزيز مصر) في ذلك، وبذلك يكون خطه معروفا لكثرة صياغته مثل هذه العقود ومهرها .

الثاني / أن يكون (لاوي) لا يجيد القراءة والكتابة فلا يمكنه بذلك صياغة الصكوك.

الثالث / أن يكون (لاوي)، امتنع عن كتابة هذا الصك لأنه كان غير موافق لفعلهم، فقد سعى جاهدا لمنعهم من قتل (يوسف)، فمهر الصك مجبرا للإبقاء على حياة أخيه .

الرابع/ قوله: (يبدو هذا خط شمعون)، كان سقطة لسان دفعه إليها شغفه للكشف

عن حقيقة شخصيته، درأها باستفهامه المجازي والحقيقي .

٣- قاعدة المناسبة: يجب أن يكون الكلام ذا مناسبة متعلقة بالموضوع .

وما لفت انتباهنا في ذلك قول مجسد شخصية يهوذا: (ك ك كان في بيتنا عبد، وكان فتىً مشاغبا وغير مطيع لأمرنا، فما كان إلا أن بعنا الفتى إلى المدعو مالك) . كذلك ما أردفه مجسد شخصية شمعون من قول: (قُمنا .. بذلك طبعا .. من أجل أن نرتاح من شره، هذا الصكّ يعود إلى .. تلك القضية) .

- الاجـــــراء: فالملاحظ من القولين أو النصين أنهما قيلا ردا على اتهام (عزيز مصر) لهم بعدما قرأ عليهم صك بيع (يوسف) الى (مالك بن زعر) . فبدأ يهوذا قوله بتلكؤ وتعثر نطقي دلّ على خوف وتلعثم المتكلم لعدم ثقته الكاملة بحجية كلامه كونه يخلو من المصداقية، فضلا عن أنه بادر بالتبرير و تقديم المسببات دون أن يوجه إليه السؤال، ودون أن يرد اسمه في معرض الكلام، يسنده في ذلك السكتات المتكررة في النص اللغوي لـ (شمعون) المستجدية لعبارات يحاول جاهدا أن يضفي عليها شيئا من القناعة والقبول لدى المتلقي، دون جدوى، وهذا ما يستجلب تأكيد الاتهام وتلبسه بهم واقرارهم بفعل الجريمة دون أن يشعروا بذلك، من منطلق القاعدة النفسية للمجرم التي تؤكد على دورانه حول الجريمة باستمرار . مضافا لذلك النظرات الفاحصة المراقبة عن كثب لحركات المتكلم وسكناته والابتسامة الدفينة الهازئة بهذا الكلام، البادرة من (عزيز مصر)، تثبيتا آخر وتعزيزا لقناعة المشاهد بعدم تصديق هذا الكلام وعدم جواز الأخذ به .

كان النص يحمل في طياته اجحافا وظلما وانقاصا لمكانة (يوسف) عليه السلام، كونهم وصفوه بالعبد والخادم المجانب لحدود الاخلاق والكياسة والاحترام، وهذا ما أثبته التركيب اللغوي، المتمثل بتقديم خبر كان الجار والمجرور على اسمها، مما

أفاد حصرا وقصرا لعبوديته لهم دون سواهم ، فلو جرى التركيب اللغوي على عادته المعهودة لكان المبتدأ (عبد)، يحمل معنى التنكير لأنه بذلك لا يعدوه كونه عبد من عبيد كثر، ومن أهم وأبرز علامات الحصر والقصر تقديم الخبر شبه الجملة على مبتدئه [1] وقيمة ذلك تسمو من أن ((النص أساسا قيمة لغوية تحتضن ميدان المبتدأ والخبر فلسفة وموضوعا أيضا))[2]، فكأنهم بذلك بعدما حصروا وقصروا عبوديته بهم ولهم جردوه من عبادة الله الواحد الأحد، فأردفوا كلامهم هذا بما يشين اخلاقه وسلوكياته .

٤ – قاعدة الكـم: والقصد منه أن تكون المساهمة في الكلام بالقدر المطلوب والمحدد دون زيادة أو نقصان .

وأكثر ما يكون ذلك في جواب السؤال وما يشاكله، وهذا وروده واضح جدا في موضوع البحث والدراسة، من ذلك ما جاء على لسان مجسد شخصية يوسف: (بنيامين.... ماذا يقول هؤلاء؟)، وجواب بنيامين: (لا، عالي المقام ،نحن لم يكن عندنا عبدٌ بهذا الاسم والوصف أبدا) . وسؤال لاوي: (كيف وصل الصكُّ إليك وإلى السيدة زُليخة؟)، وجواب السيدة زليخة: (أنا أخذت السندَ من يوسف)، وتعجب لاوي من مشيئة الله التي جعلت من يوسف ربيبا لزليخة إحدى متنفذات القصر الفرعوني، قائلا:(وهبكِ يوسف كهدية!)، وجواب زليخة: (أجل) .

- الاجـــــــراء: النصوص أعلاه لمن يتدبرها ويتأملها، كانت بقدر محدد دون زيادة أو نقصان، حسب ما يتطلبه السؤال ومناسبة الكلام، كان هذا الأمر متعلقا إلى حد ما بمقصدية كاتب النص وفهم المتلقي، فغالبا النصوص الاستفهامية تبتعد نوعا ما عن تكرار الكلام وذلك للعلم به، أو لما يفرضه السياق، ففي النص الأول كان بداية

(١) ينظر: معاني النحو ٣/ ٩١

(٢) تقنيات المنهج الأسلوبي في سورة يوسف ،٦٨

الحوار باسلوب النداء الخالي من أداة النداء، فلم تكن حاجة للتلفظ بالأداة، والحذف، واحد من أهم الظواهر اللغوية فتشترك فيه أغلب اللغات ويكون في بعضها أكثر وضوحا كما هو الحال في العربية[1] فمجرد لفظ اسم الشخص المعني يستجلب سمعه وانتباهه للآتي من الكلام ، أو ما مطلوب منه أن يسمعه أو يقوم به، ونظير ذلك ما ورد في القرآن الكريم :﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[2]، وقوله سبحانه: ﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ﴾[3] ويحذف حرف النداء إذا دلّ عليه السياق ، فلا حاجة لذكره مرة أخرى ليكون ذلك أخف وأسهل نطقا[4]، وكان بعد ذلك السؤال (ماذا يقول هؤلاء؟)، مشيرا إليهم بسم الإشارة (هؤلاء)، ولم يقل (أخوتك)، للإشارة إلى أنهم لا يجمعهم مع (بنيامين) رابط الأخوة المعنوي؛ فهم أخوته دما، لا وصفا و خُلُقا، ثم إنه لم يسأل عن كينونة العبد، إلا أنه سأل عن طبيعة قولهم، للدلالة على ضعف حجتهم وعدم اقناعهم إيّاه، فجاء الجواب من (بنيامين): (لا) ناسفا بذلك جميع أكاذيبهم وتلفيقاتهم، وأتبع جوابه المنفي، بتوجيه الكلام إلى (عالي المقام) بحذف

(١) ينظر: ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، ٩

(٢) النور ٣١

(٣) الرحمن ٣١

(٤) ينظر: الجملة العربية تأليفها وأقسامها ،٩٦

أداة النداء أيضا، ذلك أن أسلوب الكلام كان حواريا ولا يتطلب ذكر أداة النداء (يا، ونظيراتها)، بين المتحاورين المتقابلين، فضلا عن إن جملة (عالي المقام) كانت فاصلة معترضة بين النفي وتأكيد النفي، الذي أكد على نفي وجود عبد بالمواصفات والاسم التي ذكرها اخوته، لكنه لم ينفي وجود العبيد في بيتهم .

أما النص الآخر المتمثل بسؤال لاوي: (كيف وصل الصكُّ إليك وإلى السيدة زُليخة ؟)، فلاستفهام خرج لمعنى التعجب ؛ فهو يتعجب مستفهما عن أمور عدة، هي :-

١. الشخص الذي أوصل الصك إليهما .

٢. الطريقة التي وصل من خلالها الصك اليهما .

٣. العلاقة التي جمعت بين عالي المقام وزليخة، حتى امتلك كلاهما الصك نفسه .

فضلا عن ذلك فإن سؤال لاوي هنا، كان بحسب تقديرنا للتخفيف من غضب عالي المقام، وتهدئته، ومحاولة إشغاله وصرف نظره عن عقوبة متحتمة متوقعة لامحالة على بقية اخوته، بعدما انكشف زيفهم وخداعهم وكذبهم وتدليسهم الحقيقة على عزيز مصر، خاصة وأن السؤال جاء بعد استنكار مجسد شخصية (يوسف)، لكذبهم وقبيح فعلهم قائلا: (لم تكفوا عن قولكم الكذب بعدُ اذاً)، وكان جواب السؤال بالقدر المحدد له، فقالت زليخة: (أنا أخذت السند من يوسف) .

وأما سؤال لاوي الآخر الموجه إلى زليخة، فكان منغما بمعنى التعجب أيضا: (وهبكِ يوسفَ كهدية !)، فتعجب مستغربا من وصول (يوسف) الى يد (بوتيفار زوج زليخة) آنذاك، وأهداه إليها .

كانت وقفة تأمل تستحق التعجب عند المقارنة بين مشيئة أخوة يوسف، ومشيئة إله يوسف، وبين ما وصفه أخوته بالعبد، وباعوه على أنه عبد، وبين قدر له أن يعيش من حياة الترف والرفاهية في قصر زليخة، هذه الصور والإيحاءات المعنوية كلها أجابت

عنها زليخة بجواب مقتضب مختزل مختصر، بقولها: (أجل)، جوابا قصيرا لكل ما يدور في ذهن لاوي واخوته .

من ذلك يتضح أن طريقة الكم، لاتعير بالا لكثرة الكلام وقلته بقدر اهتمامها بسرعة ايصال الصور البلاغية المعنوية لذهن المتلقي، نعم، يجب أن يكون الكلام محددا مقدرا دون زيادة أو نقصان، لكن هذا التحديد والتقييد يفرضه ذوق المتكلم وذكاء المتلقي .

الخاتمة

بعد أن شارفنا على نهاية بحثنا ودراستنا لا يسعنا إلا أن نقدم بين يدي القارئ أبرز ما تمخض عن هذه الدراسة من نتائج وخلاصة بحثية، والذي توصلنا إليه كان يتركز في الآتي :-

- أن الاستلزام الحواري يكشف عن ذكاء المتلقي، وقدرته على التحليل والاستنتاج، وكشف ما يدور في ذهن المتكلم .
- العامل النفسي له الأثر الكبير في مساعدة المتلقي على فهم مقصدية المتكلم .
- من أهم العوامل الداعمة للاستلزام الحواري عاملي الزمان والمكان وتأثيرهما على مقصدية المتكلم وفهم المتلقي.
- السياق، عنصر فاعل جدا ومهم في تغيير مسار معاني الألفاظ والمفردات والنصوص اللغوية .
- لغة الجسد، من اللغات عالية البلاغة والفصاحة إلا أنها تنطق دون حروف منطوقة أو مكتوبة .
- كشف البحث عن ترادف لفظي اشترك فيه كل من مفردات (الصك، والسند، والرسالة)، التي كانت كلها بمعنى عقد البيع والشراء .

- أعاد البحث الى الأذهان معان كانت قد انقرضت تداوليا، مثل معنى (الطرق)، الذي كان يستعمل قديما بمعنى التكهن، واقتصر اليوم على من يدق الباب ليلا، او الحدث المهم .
- عمد كاتب السيناريو الى الخروج من الدلالة الظاهرية الى الباطنية المستلزمة حواريا.
- يتعاون المتكلم والمتلقي في ابراز المعنى التداولي والمستلزم حواريا الذي يرتكز على ذكاء المتكلم وادراك المتلقي .
- الاستلزام الحواري عامل مهم من عوامل الاتساع اللغوي، واذكاء المخزون اللغوي الذهني لكل من المتكلم والمتلقي .

قائمة المصادر

القرآن الكريم .

* مسلسل تاريخي إيراني يحكي قصة النبي يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل منذ ولادته إلى لقائه بأبيه النبي يعقوب بعد غياب طويل. سيناريو وإخراج (فرج الله سلحشور)يتكون المسلسل من ٤٥ حلقة وقد استغرق تصويره ثلاث سنوات تقريباً منذ ٢٠٠٥م إلى ٢٠٠٨م. (ويكبيديا).

١. الاستلزام الحواري في سورة البقرة في القرآن الكريم، دراسة وصفية تحليلية، حجر نورما وحيدة، كلية العلوم الانسانية والثقافة ،جامعة مولانا مالك ابراهيم الاسلامية الحكومية، مالانج . ٢٠١٠.

٢. أساس البلاغة، جار الله الزمخشري ،دار الفكر، بيروت- لبنان ،ط١،٢٠٠٦

٣. الاستلزام الحواري في التداول اللساني، العياشي ادواري، دار الأمان - الرباط، ط١

،٢٠١١.

٤. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة، دار المعرفة الجامعة ٢٠٠٢، (د ط).

٥. آليّات الخطاب النقديّ العربيّ الحديث في مقاربة الشعر الجاهليّ(بحث) في تجليّات القراءات السياقيّة ،د. محمّد بلوحي، من منشورات اتّحاد الكتاب العرب، دمشق- ٢٠٠٤، موقع اتّحاد الكتّاب العرب على شبكة الانترنت http: www.awu-dam.org.

٦. البيان والتبيين، أبو عثمان بحر بن محبوب الجاحظ (١٥٠ -٢٥٥ هـ)، تح عبد السلام هارون، ط٧ ،١٩٩٨ .

٧. تأريخ الفكر الفلسفيّ، د.محمد علي أبو ريان، دار المعرفة الجامعيّة، الإسكندريّة، مصر،(د.ت).

٨. التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، محمود عكاشة، دار النشر للجامعات – مصر ،٢٠٠٥

٩. تقنيات المنهج الأسلوبي في سورة يوسف، الدكتور حسن عبد الهادي الدجيلي، دارالشؤون الثقافية العامة، أعظمية – ط١،٢٠٠٥.

١٠. الجملة العربية تأليفها وأقسامها، د. فاضل السامرائي، دار الكر – عمان ،ط٣، ٢٠٠٩

١١. جواهر البلاغة، السيد أحمد الهاشمي، ضبطه / يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، ط١، ١٩٩٩.

١٢. الدلالة الزمنية في الجملة العربية، علي جابر المنصوري، ط١، ٢٠٠٢

١٣. دلائل الإعجازفي علم المعاني، عبد القاهر الجرجاني، تح عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠٠١.

١٤. شرح ديوان المتنبي، عبد الرحمن البرقوقي، مكتبة المتنبي – الدمام، ط٢٠١٩،١.
١٥. كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكريّ، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، ١٩٥٢م.
١٦. ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، طاهر سليمان حمودة ،الدار الجامعية للطباعة والنشر ،(د.ط)، (د.ت).
١٧. علم النفس اللغوي، الدكتورة نوال محمد عطية، المكتبة الاكاديمية، ط٣
١٨. علم لغة النص النظرية والتطبيق، عزة شبل محمد، مكتبة الآداب– القاهرة، ط١، ٢٠٠٧.
١٩. الفعل زمانه وأبنيته، د. ابراهيم السامرائي، مطبعة العاني، ١٩٦٦.
٢٠. لسان العرب، ابن منظور، دار الفكر، بيروت –لبنان ،ط٢٠٠٨،١
٢١. اللسان والميزان أو التكوثر العقلي: د. طه عبد الرحمن، ط١، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ١٩٩٨م.
٢٢. اللسانيات واللغة العربية، د. عبد القادرالفاسي الفهري، دار توبقال للنشر، ط٢، ١٩٨٨
٢٣. لغة الجسد النفسية، جوزيف مسنجر، ترجمة محمد عبد الكريم ابراهيم، منشورات دار علاء الدين، ط١، ٢٠٠٧
٢٤. معاني النحو، د. فاضل السامرائي ،دار الفكر، ط٢، ٢٠٠٣
٢٥. معجم المعاني الجامع / https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar
٢٦. المعلقات العشر، للزوزني، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت – لبنان (د.ط) ١٩٨٣ .
٢٧. المفردات في غريب القرآن، الراغب الاصفهاني، تح محمد خليل عيتاني ،دار

المعرفة، بيروت- لبنان،ط٤،٢٠٠٥.
٢٨. منهاج البلغاء وسراج الأدباء، صنعة أبي الحسن حازم القرطاجني (ت٦٨٤هـ)، تقديم وتحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الكتب الشرقية، تونس، ١٩٦٦م.
٢٩. النظرية البرجماتية اللسانية، محمود عكاشة، مكتبة الآداب، القاهرة ،ط١، ٢٠١٣